

خارطة طريق شي جين بينغ لعظمة الرياضة الصينية

افتُتحت الدورة الرابعة والعشرون للألعاب الأولمبية الشتوية في بكين في ٤ فبراير ٢٠٢٢. وفي تلك اللحظة التاريخية، أصبحت بكين أول مدينة في تاريخ الحركة الأولمبية تستضيف كلا من الألعاب الصيفية والشتوية. وعلى مسرح من الثلج والجليد النقيين. أضاء نور الألعاب الأولمبية الشتوية طريق سعي البشرية المشترك نحو الوحدة والسلام والصدقة والتقدم.

لم يكن الوصول إلى هذا الإنجاز وليد اللحظة، بل جاء ثمرة مسيرة طويلة من التحضير والعمل. ففي ٣١ يوليو ٢٠١٥، اجتمعت اللجنة الأولمبية الدولية في كوالالمبور بماليزيا لاتخاذ القرار بشأن المدينة المضيفة لدورة الألعاب الأولمبية الشتوية لعام ٢٠٢٢. وفي تلك اللحظة الحاسمة، ألقى الرئيس شي جين بينغ كلمة عبر الفيديو، أعلن فيها بثقة راسخة:

"إن الشعب الصيني يتطلع بشغف إلى هذه الفرصة. وأؤمن بأنه إذا اخترتم بكين، فإن الشعب الصيني سيقدم للعالم بلا شك دورة ألعاب أولمبية شتوية رائعة، استثنائية، ومتميزة".

وقد شكّل هذا الالتزام الواضح والحازم عاملا حاسما في فوز بكين بحق الاستضافة. لقد كان تعبيراً عن الثقة، وإعلاناً عن النوايا، وتعهداً جادا أمام العالم بأن الشعب الصيني سيكرّس جهوده لتنظيم دورة تليق بالتاريخ.

لقد سبق اهتمام شي بالقضية الأولمبية عام ٢٠١٥ بسنوات عديدة. ففي عام ٢٠٠٨، عندما كان يشغل منصب نائب الرئيس الصيني، تولى بالفعل قيادة المجموعة القيادية التحضيرية لدورتي الألعاب الأولمبية والبارالمبية الصيفيتين بكين. وفي هذا الدور، بذل جهودا كبيرة لضمان أن تكون الألعاب حدثا "متميزا وعالي المستوى"، سواء بالنسبة للرياضيين أو للعالم. وبالنسبة لشي، لم تكن القضية الأولمبية مجرد منافسة رياضية، بل كانت تعبيراً عن تحقيق تطوّر استمر قرننا لدى الأمة الصينية، وتجسيدياً لحلم مشترك للشعب الصيني، ووفاء بالتزام جاد تجاه المجتمع الدولي.

وبعد أربعة عشر عاما، قدّمت الصين، تحت قيادة شي، للعالم دورة أولمبية شتوية مبسّطة

وأمنة ومهرة. وبذلك أصبحت بكين أول مدينة في العالم تستضيف كلا من الألعاب الأولمبية الصيفية والشتوية. ولا يمثل هذا الإنجاز محطة تاريخية فحسب، بل يشكل أيضا فصلا مجيدا في مسيرة تطوّر الرياضة في الصين، وخطوة مهمة على طريق تحوّل البلاد إلى دولة رائدة في مجال الرياضة.

تُعدّ الرياضة انعكاسا مهما للتنمية الاجتماعية والتقدم البشري. فهي مقياس للقوة الشاملة للدولة وقوتها الناعمة، كما تُعد وسيلة مهمة للتبادل الثقافي. ومنذ المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني، أولت لجنة الحزب المركزية ونوابها الرفيق شي جين بينغ، أهمية بالغة للرياضة. ومن منظور إستراتيجي يرتبط بازدهار الدولة ونهضة الأمة، قدّم شي سلسلة من الطروحات العميقة حول أهمية الرياضة، موضحا قضايا نظرية وعملية رئيسية، وموجّها مسار التنمية عالية الجودة للرياضة في العصر الجديد. وتحت قيادته، تواصل الصين التقدم بثبات نحو مسعى بأن تصبح دولة قوية في مجال الرياضة.

الصحة الوطنية: الشعب أولا

إن استضافة الفعاليات الرياضية الدولية الكبرى تُبرز مسيرة صعود الصين من الوقوف شامخة، إلى تحقيق الازدهار، ثم إلى أن تصبح دولة قوية. وفي الوقت نفسه، فإنها تعزز الهدف الدائم لتطوير الرياضة، والمتمثل في تحسين اللياقة البدنية للمجتمع ودعم التنمية الشاملة للإنسان.

منذ عمله في المناصب القاعدية وصولا إلى أعلى مواقع القيادة في البلاد، ظلّ شي يولي اهتماما كبيرا باللياقة البدنية والصحة على مستوى الوطن. وقد اتسم التزامه في هذا المجال بالثبات والاستمرارية، وانطلق من قناعة راسخة بأن صحة الشعب هي الأساس لازدهار الدولة. ففي وقت مبكر من عام ١٩٨٤، عندما كان يشغل منصب أمين لجنة الحزب الشيوعي الصيني في محافظة تشنغدينغ بمقاطعة خبي، اقترح تنظيم دورة رياضية على مستوى المحافظة. وأوضح حينها أنه بينما ينبغي أن تصبح جيوب الناس أكثر امتلاءً، ينبغي أيضا أن تصبح عقولهم أكثر ثراءً وأجسادهم أكثر صحة. فالثروة المادية، كما أكد، تظل ناقصة إذا لم تقترن بالصحة البدنية والسعادة. ولذلك فإن تنظيم دورة رياضية جماهيرية يحمل أهمية عميقة في تحسين حياة

الشعب.

وفي وقت لاحق، عندما كان يشغل منصب حاكم مقاطعة فوجيان، كان شي يحرص على تسلق جبال قولينغ سيرا على الأقدام، عادة مرة كل أسبوعين أو ثلاثة. وفي ذلك الوقت، اقترحت جمعية فوجيان لرياضة تسلق الجبال أن يتولى منصب رئيسها الفخري. وافق شي بكل سرور، وقال "إذا كنتُ رئيساً فخرياً، فعلياً أن أقوم ببعض الأعمال الملموسة لخدمة محبي تسلق الجبال، وأن أدفع قدماً برياضة تسلق الجبال للجميع بوصفها نشاطاً للياقة البدنية، فممارسة الرياضة يمكن أن تجلب السعادة للشعب".

وقد بدأ ارتباط شي الطويل بالرياضة في سن مبكرة؛ فبحلول نحو سن الخامسة كان قد تعلم السباحة. وعلى مرّ السنوات مارس كرة القدم وكرة السلة والكرة الطائرة والتنس، كما تدرّب على الفنون القتالية. ولم يكن طوال تلك السنوات مجرد داعم قوي للياقة الوطنية فحسب، بل كان أيضاً مشاركاً نشطاً فيها.

ومنذ المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني، أولت لجنة الحزب المركزية ونوابها شي جين بينغ، الشعب مكانةً محورية في جميع الأعمال، وعملت على تعزيز التنمية الصحية والمنظمة للرياضة بما يتماشى مع تطلع الشعب إلى حياة أفضل. وقد أصبحت حركة اللياقة للجميع حجر أساس ورافعة مهمة لإستراتيجية الصين الرياضية في العصر الجديد.

في ٣١ أغسطس ٢٠١٣، وخلال مؤتمر التكريم الوطنيين للرياضة الجماهيرية وللنظام الرياضي الوطني، أكد شي أن اللياقة البدنية على مستوى الوطن تُعد الأساس والضمان لتعزيز الصحة البدنية وتمكين الناس من عيش حياة صحية. وقال "إن صحة الشعب البدنية تُعد جانباً مهماً من جوانب بناء مجتمع رغيد الحياة على نحو شامل، كما أنها أساس حاسم لنمو كل فرد وسعيه إلى حياة سعيدة".

وفي أكتوبر ٢٠١٤، أصدر مجلس الدولة الصيني توجهات بشأن تطوير صناعة الرياضة وتعزيز الاستهلاك الرياضي، حيث جرى الارتقاء بحركة اللياقة للجميع إلى مستوى إستراتيجية وطنية. وأشارت هذه الوثيقة إلى أن تطوير صناعة الرياضة يُعد مطلباً ضرورياً لتحسين اللياقة والصحة لجميع أبناء الأمة.

وفي أغسطس ٢٠١٧، وخلال دورة الألعاب الوطنية الثالثة عشرة التي أقيمت في تيانجين، التقى شي بممثلين عن الوحدات والأفراد المتميزين في المجال الرياضي. وأكد أن "إدماج الرياضة

الجماهيرية في الألعاب الوطنية وضمان مشاركة واسعة من الجماهير سيؤديان إلى أداء الألعاب لدورها على نحو أفضل".

ووفقا لنشرة نتائج مسح أنشطة اللياقة الوطنية لعام ٢٠٢٠، التي أصدرها المركز الوطني لمراقبة اللياقة في نهاية عام ٢٠٢١، فإن مستويات اللياقة البدنية لدى سكان الحضر والريف في الصين واصلت التحسن. ففي عام ٢٠٢٠، بلغ معدل السكان الذين تبلغ أعمارهم سبع سنوات فأكثر ويمارسون التمارين البدنية بانتظام ٣٧,٢ في المائة، بزيادة قدرها ٣,٣ نقاط مئوية مقارنة بعام ٢٠١٤.

وتكون الأمة قوية عندما يكون شبابها أقوياء. وقد أبدى شي باستمرار اهتماما بصحة الطلاب ولياقاتهم البدنية. ففي مؤتمر التعليم الوطني الذي عُقد في سبتمبر ٢٠١٨، شدد على ضرورة ترسيخ فلسفة التعليم التي تضع الصحة في المقام الأول. وقال إنه يجب تنفيذ التربية البدنية تنفيذا كاملا حتى يتمكن الطلاب من الاستمتاع بمتعة الرياضة، وتعزيز لياقتهم البدنية، وتنمية شخصيات متوازنة، وبناء إرادة قوية. إن أقواله تتوافق مع أفعاله.

ففي ربيع عام ٢٠١٧ البارد، زار شي مركز ووكهسونغ الرياضي في بكين، حيث تجمّع حوله لاعبون صغار في رياضة هوكي الجليد بحماس. انحنى لتحيتهم، وحيّاهم بتحية لاعبي الهوكي التقليدية عبر التلامس بالكثف، ومازحهم قائلا إن عليهم أن ينموا أكثر ويصبحوا أقوى. كما استذكر أيام طفولته عندما كان يتزلج على الجليد في شيتشاهاي في بكين، مشيرا إلى مدى حظ أطفال اليوم الذين لا يتمتعون بظروف تعليم ممتازة فحسب، بل أيضا بظروف متميزة لممارسة الرياضة. وقال لهم "هذه الأمور تعزز لياقتكم البدنية، كما تنمي الشجاعة وروح العمل الجماعي لديكم. وآمل أن تقدروا هذه الفرص وتواصلوا الاجتهاد والعمل الجاد".

وخلال زيارة إلى مدرسة باي بيكين، شجّع شي الطلاب على الجمع بين ممارسة الرياضة والعمل من أجل تقوية الجسد والروح معا. وفي المدرسة الابتدائية المركزية في بلدة لاوشيان في مقاطعة شنشي، عبّر عن قلقه إزاء انتشار قصر النظر بين الطلاب، مؤكدا ضرورة "تهذيب العقل بالتحضر وتقوية الجسد بالحيوية".

وقد شدّد شي باستمرار على تعزيز اللياقة البدنية على مستوى الوطن بوصفها وسيلة لتحسين صحة الشعب. ففي المؤتمر الوطني للصحة في أغسطس عام ٢٠١٦، أكد ضرورة الترويج

لأنماط الحياة الصحية، وتحول التركيز من علاج الأمراض إلى تعزيز الصحة، وإقامة نظام متين للتثقيف الصحي، ورفع مستوى الوعي الصحي لدى الجمهور، ودمج اللياقة للجميع مع الصحة للجميع. وفي سبتمبر ٢٠٢٠، وخلال ندوة مع خبراء في مجالات التعليم والثقافة والصحة والرياضة، أعاد التأكيد قائلا "يجب أن نعطي الأولوية لتعزيز الصحة، وأن نُنشئ نموذجا جديدا لممارسة الرياضة من أجل الصحة، وأن نعزز التنسيق بين مختلف الإدارات، وأن نشجّع مشاركة المجتمع بأسره".

كما أن التحضيرات الخاصة بدورتي الألعاب الأولمبية والبارالمبية الشتويتين بكين خدمت هذه المهمة الأوسع. ففي أثناء جولة تفقدية في تشانغجياكو في مقاطعة خبي يوم ٢٣ يناير ٢٠١٧، أشار شي إلى أن أحد الأهداف الرئيسية للتقدم بطلب استضافة الألعاب الأولمبية الشتوية يتمثل في تسريع تطوير الرياضات الشتوية وتعزيز المشاركة الواسعة للجمهور في أنشطة اللياقة البدنية. تاريخيا، كانت الرياضات الشتوية في الصين تتركز إلى حد كبير في مناطق معينة فقط. ومن خلال استضافة دورتي الألعاب الأولمبية والبارالمبية الشتويتين بكين، سعت الصين إلى تسريع تطوير الرياضات الشتوية، ومعالجة أوجه القصور القائمة، والعمل تدريجيا على معالجة الاختلالات بين الرياضة التنافسية والرياضة الجماهيرية، وبين الرياضات الصيفية والرياضات الشتوية، وكذلك بين رياضات الجليد ورياضات الثلج.

ووفقا لرؤية شي، أصبحت التحضيرات للألعاب الأولمبية الشتوية قوة دافعة قوية لتعزيز اللياقة البدنية للجميع. وبعد الفوز بحق استضافة الألعاب عام ٢٠١٥، أصدرت الحكومة سلسلة من وثائق السياسات التي وقرت دعما منهجيا لتعميم وتطوير الرياضات الشتوية.

وبعد الفوز بالاستضافة، انتشرت الرياضات الشتوية بسرعة في مختلف أنحاء البلاد. ففي ديسمبر ٢٠١٨، أُطلق الموسم الخامس للرياضات الشتوية الجماهيرية الوطنية في شانغهاي. وبحلول الموسم السابع للرياضات الشتوية الجماهيرية الوطنية، أُقيمت أكثر من ١٢٠٠ فعالية في جميع أنحاء البلاد، وجذبت أكثر من ١٠٠ مليون مشارك. وفي الوقت نفسه، أدخلت مبادرة "الرياضات الشتوية في المدارس"، التي نُفذت بشكل مشترك بين قطاع التعليم وقطاع الرياضة، الرياضات الشتوية إلى مئات المدن وآلاف المدارس وملايين الشباب.

ووفقا للبيانات الصادرة عن مركز المسح التابع للهيئة الوطنية للإحصاء، بتكليف من مركز إدارة الرياضات الشتوية بالهيئة الوطنية للرياضة البدنية في الصين، بلغ عدد المشاركين في

الرياضات الشتوية في جميع أنحاء البلاد ٣٤٦ مليون شخص حتى أكتوبر ٢٠٢١ منذ فوز بكين بحق استضافة الألعاب عام ٢٠١٥. كما بلغ عدد حلقات التزلج على الجليد القياسية في البلاد ٦٥٤ حلقة، بزيادة قدرها ٣١٧ في المائة مقارنة بعام ٢٠١٥، وبلغ عدد منتجات التزلج ٨٠٣ منتجات، بزيادة ٤١ في المائة عن عام ٢٠١٥.

وفي تشونغتشينغ، ارتفع عدد المشاركين من أقل من ١٠ آلاف شخص في عام ٢٠١٨ إلى مليون شخص في عام ٢٠٢١، بدعم من ست حلقات للتزلج على الجليد وعشرة منتجات للتزلج. أما في بكين، فقد أصبحت منتجات التزلج وجهات مفضلة للزوار؛ إذ ارتفع عدد زوار منتجج جبال جيونودو للتزلج من ٣٠ ألف زائر في عامه الأول عام ٢٠٠٣ إلى أكثر من ١٦٠ ألف زائر في موسم ٢٠٢١-٢٠٢٢.

وقال لي شياو مينغ، رئيس جمعية بكين للتزلج "إن إشراك ٣٠٠ مليون شخص في الرياضات الشتوية يحمل معانٍ عديدة، لكن الأهم هو أنه يعزز جودة حياة أفراد الشعب وشعورهم بالسعادة".

في ٤ يناير ٢٠٢٢، وخلال تفقده للاستعدادات الخاصة بالألعاب، أعلن شي أنه بفضل جهود جميع الأطراف تم تحقيق هدف إشراك ٣٠٠ مليون شخص في الرياضات الشتوية قبل الموعد المحدد. وقد أشاد المجتمع الرياضي الدولي بهذه المبادرة باعتبارها أكبر عملية نشر وتعميم للرياضات الشتوية في تاريخ البشرية. فهي لم تُرس أساساً متيناً للياقة البدنية للجميع فحسب، بل أسهمت أيضاً إسهاماً كبيراً في التطور العالمي للرياضات الشتوية.

وقال توماس باخ، رئيس اللجنة الأولمبية الدولية "إنها فرصة عظيمة لتطوير الرياضات الشتوية، بل وحتى لتطوير الرياضة العالمية. إن دورة الألعاب الأولمبية الشتوية بكين ستغيّر خريطة الرياضات الشتوية في العالم".

وفي الوقت الذي جرى فيه الالتزام الدائم بفلسفة "الشعب أولاً" التي يؤكد عليها شي طوال فترة التحضير للألعاب، شدّد أيضاً على أهمية التخطيط لاستخدام الملاعب والمنشآت الأولمبية بعد انتهاء الألعاب، بما يضمن أن تخدم هذه المرافق المنافسات الرياضية الكبرى وكذلك احتياجات اللياقة البدنية لدى المواطنين. وهذه الطريقة، صُممت الألعاب ليس فقط لإبهار العالم، بل أيضاً لتحقيق فوائد دائمة للشعب.

وقال شي "سننخذ دورة الألعاب الأولمبية الشتوية بكين فرصةً لدفع الرياضة التنافسية

إلى أن تصبح أفضل وأسرع وأعلى وأقوى، وفي الوقت نفسه سنعمل بقوة على تطوير الرياضة الجماهيرية. ونهدف إلى تنظيم أولمبياد شتوي أخضر ومقتصد ونزيه. ومن خلال اللياقة البدنية للجميع سنحقق الصحة للجميع، وبالتالي هدف الرفاهية الشاملة".

دولة قوية في مجال الرياضة تسعى وراء الأحلام وتمضي قدما

إن الدولة القوية في مجال الرياضة تُسهم في جعل الصين قوية، كما أن الصين المزدهرة تُسهم في ازدهار الرياضة.

وقد شدّد شي في مناسبات عديدة على أن بناء دولة رياضية كبرى ثم التحول في نهاية المطاف إلى قوة رياضية رائدة يُعد جزءاً أساسياً من تحقيق الهدفين المثنويين وتحقيق النهضة العظيمة للأمة الصينية.

خلال فترة عمله في مقاطعة فوجيان، أجرى شي بحثاً معمّقة حول الفرق الرياضية على مستوى المقاطعة. وأكد أن الرياضة تمثل قضية لا غنى عنها، إذ تعكس القوة الشاملة للدولة والقدرة التنافسية للمناطق، كما ترمز إلى ازدهار الأمة وحيويتها.

ومنذ المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني، وضعت لجنة الحزب المركزية ونوابها شي جين بينغ، الهدف الإستراتيجي المتمثل في بناء دولة قوية في مجال الرياضة. وقد جرى التأكيد على هذا الهدف باستمرار في الوثائق السياسية الرئيسية والإستراتيجيات الوطنية.

وفي سبتمبر ٢٠١٩، صدرت رسمياً "خطة بناء دولة قوية في مجال الرياضة"، التي رسمت رؤية واضحة لتسريع بناء دولة قوية في مجال الرياضة، ووضعت الرياضة كركيزة مهمة لتحقيق النهضة العظيمة للأمة الصينية. وفي مارس ٢٠٢١، نصّت خطة حكومية مدتها خمسة عشر عاماً بوضوح على هدف التحول إلى قوة رياضية رائدة بحلول عام ٢٠٣٥.

ويرتبط هذا الهدف ارتباطاً وثيقاً بحلم الصين المتمثل في تحقيق النهضة الوطنية. وقد أكد شي أن الرياضة ليست مجرد وسيلة مهمة لتحسين صحة الشعب، بل هي أيضاً عنصر أساسي في تحقيق النهضة الوطنية.

ويقدم تاريخ الرياضة الصينية الحديثة أمثلة حيّة على ذلك. ففي عام ١٩٨١، أظهر منتخب الصين للكرة الطائرة للرجال روح الوحدة والمثابرة عندما حوّل الهزيمة إلى نصر في مباراة حاسمة.

أذالك، هتف طلاب جامعة بكين تلقائياً بشعار تلك الحقبة "اتحدوا من أجل نهضة الصين". وبعد عقود، في عام ٢٠١٨، استعاد شي هذه القصة خلال لقائه أساتذة وطلاب الجامعة، قائلاً "اليوم ما زال علينا أن نردّد هذا الشعار، وأن نتحد كجسد واحد من أجل السعي إلى تحقيق حلم الصين". وفي العام نفسه، أحرز منتخب الصين للكرة الطائرة للسيدات أول لقب له في بطولة العالم للكرة الطائرة للسيدات، ما أثار موجة من الفخر الوطني وأدمع عيون ملايين المشاهدين فرحاً. وفي سبتمبر ٢٠١٩، وخلال لقائه بالمنتخب بعد فوزه في النسخة الثالثة عشرة من كأس العالم للكرة الطائرة للسيدات التي ينظمها الاتحاد الدولي للكرة الطائرة، أشاد شي بسجل الفريق الذي يتضمن خمسة ألقاب في كأس العالم وعشرة ألقاب في البطولات العالمية. وقال إن هذا الانتصار "أشعل الحماسة الوطنية وعزّز الفخر والثقة الوطنيين في جميع أنحاء البلاد".

ومن "روح الكرة الطائرة للسيدات"، التي تُعرّف بأنها "وضع الوطن الأم أولاً، والوحدة والتعاون، والكفاح بعزيمة، وعدم الاستسلام أبداً"، إلى "الروح الرياضية الصينية" الأوسع، التي تعني "السعي إلى المجد الوطني، والتفاني دون مقابل، والسعي العلمي إلى الحقيقة، والانضباط، والوحدة والتعاون، والكفاح بعزيمة"، تجسّد الثقافة الرياضية الصينية القوة الدافعة لتحقيق النهضة الوطنية، وتوفر مصدر إلهام للأجيال القادمة.

ومن ثم فإن بناء قوة رياضية رائدة لا يتعلق فقط بتحقيق الإنجازات الرياضية، بل يشمل أيضاً تعزيز المعنويات الوطنية، وتشكيل الهوية الثقافية، والإسهام في بناء صين قوية. وأكد شي أنه من أجل تسريع بناء قوة رياضية رائدة، يجب على الصين تنظيم دورة الألعاب الأولمبية الشتوية بكين ٢٠٢٢ بمستوى عالٍ من الجودة. ودعا إلى تحقيق التميز في جميع جوانب التحضير، بما في ذلك تعزيز القوة التنافسية، وتوسيع انتشار الرياضات الشتوية، وتعميم المشاركة فيها، وضمان أن تكون الألعاب نفسها "ماهرة واستثنائية ومتميزة".

وفي نوفمبر ٢٠١٥، طرح شي المفاهيم الإرشادية لتنظيم "أولمبياد أخضر وشامل ومنفتح ونزيه". أما مبدأ "مبسّط وآمن وممهر" الذي طرحه لاحقاً للتحضير لدورة الألعاب الأولمبية الشتوية بكين ٢٠٢٢، فيندرج مع هذه المفاهيم، وأصبح منذ ذلك الحين مبدأً توجيهياً مهماً للصين في استضافة الفعاليات الرياضية الكبرى. مثل دورة الألعاب الجامعية العالمية تشنغدو، ودورة هانغتشو للألعاب الآسيوية، ودورة الألعاب الآسيوية الشتوية هاربين، ودورة الألعاب العالمية تشنغدو، ودورة الألعاب الوطنية الخامسة عشرة.

وقبل انطلاق دورة الألعاب الأولمبية الشتوية بكين ٢٠٢٢، قام شي بخمس جولات تفقدية لأعمال التحضير للأولمبياد، وقدم توجيهات مفصلة بشأن بناء الملاعب الرياضية، وتنظيم المنافسات الرياضية، وتدريب الرياضيين، والتخطيط للاستفادة من إرث الألعاب. وعلى الرغم من التفشي المفاجئ لجائحة كوفيد-١٩، استمرت الاستعدادات بشكل مطّرد، وبحلول نهاية عام ٢٠٢٠ كان قد تم الانتهاء من جميع الملاعب الاثني عشر الخاصة بالمنافسات.

كما عكست الملاعب الرياضية نفسها الثقة الثقافية للصين وروح الابتكار فيها. فقد عرض المركز البيضاوي الوطني للتزلج السريع "الشريط الجليدي" أحدث تقنيات صناعة الجليد. أما منصة القفز التزلجي "ثلج روبي" في تشانغجياكو فقد جسدت الأناقة والرمزية. كما أظهر برج القفز التزلجي "الأحذية الكريستالية" ومسار الانزلاق "التنين الثلجي" مستوى رفيعا من الإتقان الهندسي. وتمكّن مسار "التنين الثلجي"، الذي طوّره وبنته الصين بشكل مستقل، من كسر احتكار الدول الأجنبية لتكنولوجيا مسارات الانزلاق.

وقالت جاكلين لولينغ من ألمانيا، الحائزة على الميدالية الفضية في رياضة السكلتون في دورة الألعاب الأولمبية الشتوية ٢٠١٨ "إنه حقا مسار مذهل ومميز. فالمناظر الطبيعية والهندسة المعمارية تلهم روح المنافسة لديك".

كما أكد شي أن الألعاب الأولمبية الشتوية ينبغي أن تعزز أيضا التنمية الإقليمية. وقد أدت توجهاته بضرورة "تحقيق نتائج ممتازة سواء في التحضير للألعاب الأولمبية الشتوية أو في التنمية المحلية" إلى تقدم منسق في منطقة بكين-تيانجين-خي. وعلى وجه الخصوص، تحولت تشونغلي في مقاطعة خبي، التي كانت في السابق محافظة فقيرة، إلى منطقة مزدهرة لمنتجات التزلج. وفي عام ٢٠١٩، أُزيل اسمها من القائمة الوطنية للمناطق الفقيرة. كما أدرجتها وسائل إعلام دولية مثل صحيفة «نيويورك تايمز» ضمن الوجهات العالمية التي ينبغي زيارتها.

وشدد شي أيضا على أهمية الاستفادة من موارد الشتاء، مشيرا إلى أن المياه الصافية والجبال الخضراء ثروة لا تُقدّر بثمن، وكذلك الجليد والثلوج. ويعد تحول تشونغلي مثلا حيا على هذه الفلسفة.

وبالنسبة إلى الرياضيين، وفرت دورة بكين للألعاب الأولمبية الشتوية منصة لمتابعة أحلامهم وتحقيقها. فمن بين ١٠٩ مسابقات تمنح ميداليات، لم تشهد قرابة ثلثها مشاركة صينية من قبل. ووفقا لتوجيهات شي بضرورة "التفوق في كل من الاستضافة والمنافسة"، شاركت الصين بفرق في

جميع المسابقات، محققة محطات تاريخية جديدة. وقال شي في إحدى المناسبات "لقد تطورت العديد من الرياضات الشتوية في الصين من عدم إلى الوجود في غضون أكثر من عامين بقليل، ووصل بعضها إلى مستويات عالمية. وهذا يبرهن بوضوح على مزايا قيادة الحزب، والنظام الوطني، وقدرتنا على حشد الموارد لإنجاز المهام الكبرى".

الوحدة والتعاون من أجل مستقبل مشترك

يشهد العالم اليوم تغيّرات عميقة غير مسبوقه منذ قرن من الزمان. ويُعد تقدم الصين نحو سعيها لأن تصبح دولة رياضية رائدة ليس فقط تعزيزاً لتطورها الخاص، بل له أيضاً تأثير كبير على الرياضة العالمية والمجتمع الدولي. فقد أصبحت الرياضة جسراً مهماً يربط الصين بالعالم. حضر شي الألعاب الأولمبية الشتوية سوتشي عام ٢٠١٤، وهي المرة الأولى التي يحضر فيها رئيس صيني حدثاً رياضياً دولياً كبيراً في الخارج؛ وزار مقر اللجنة الأولمبية الدولية في لوزان ٢٠١٧، وهي أول زيارة من نوعها يقوم بها زعيم صيني؛ وفي المؤتمر التذكاري الذي عقد في باريس بمناسبة الذكرى الخمسين لإقامة العلاقات الدبلوماسية بين الصين وفرنسا، تحدث شي عن المدرب الفرنسي لأن بيران الذي كان قد تولى لتوّه تدريب المنتخب الوطني الصيني لكرة القدم للرجال؛ كما شاهد شي مع القادة الألمان في الملعب الأولمبي برلين مباراة ودية في كرة القدم بين شباب الصين وألمانيا...

وقد جسّدت الأحداث الدولية التي استضافتها الصين، مثل دورة الألعاب الأولمبية للشباب في نانجينغ والألعاب العسكرية العالمية في ووهان، رؤية الصين للسلام والوحدة والتبادل الثقافي. وقد ساعدت هذه الفعاليات في تعزيز التفاهم بين الشباب، ورفع مستوى الثقة المتبادلة، وإظهار مساهمة الصين في روح الأولمبياد والسلام العالمي.

قدمت دورة بكين للألعاب الأولمبية الشتوية، تحت شعار "معا من أجل مستقبل مشترك"، منصة للتبادل والتعلم المتبادل بين الحضارات. وكما شدّد شي خلال جولة تفقدية في يناير ٢٠٢٢، فإن الاستضافة الناجحة للألعاب لن تعزز الثقة في تحقيق النهضة الوطنية فحسب، بل ستُظهر أيضاً التزام الصين ببناء مجتمع المستقبل المشترك للبشرية. وستعرض صورة إيجابية ومزدهرة

ومنفتحة للأمة، وتُعزّز الفهم والاعتراف الدولي بالصين.

تم تحويل مفاهيم استضافة فعاليات خضراء وشاملة ومنفتحة ونظيفة إلى واقع ملموس. فقد استخدمت جميع ملاعب المنافسات كهرباء صديقة للبيئة بنسبة ١٠٠ في المائة. واعتمدت الملاعب الأربعة الكبرى للجليد على غاز ثاني أكسيد الكربون كمبرد، وهي أكثر تقنيات صناعة الجليد صداقة للبيئة في العالم. وأشار لي جيولين، كبير المهندسين في المركز البيضاوي الوطني للتزلج السريع، إلى أن هذا الابتكار وضع معيارا جديدا للرياضات الجليدية المستدامة. وقال خوان أنطونيو سامارانش، نائب رئيس اللجنة الأولمبية الدولية، إن دورة بكين للألعاب الأولمبية الشتوية ستكون أولمبيادا خضراء على الإطلاق.

نفذت منطقة المنافسات في يانتشينغ أعمال استعادة بيئية على مساحة ٢,١٤ مليون متر مربع. وتم تعديل خطط البناء لحماية الأنواع المهددة بالانقراض والأشجار القديمة. وجمعت الاستعدادات للألعاب بين المواهب والتعاون العالميين. فقد عمل ٥٧ خبيرا دوليا من ١٨ دولة ومنطقة على تخطيط وتنظيم الفعاليات. وقال هارالد سبرينغفيلد، خبير هوكي الجليد النمساوي الذي انضم إلى اللجنة المنظمة في ٢٠١٨، إن الصين لديها خطة طويلة الأمد منذ البداية. وأضاف "هذا النهج يستحق التعلم منه من قبل الآخرين".

وكان تحويل حديقة شوقانغ من المعالم البارزة الأخرى. فقد كانت مصنعا للصلب، وأعيد تأهيل الموقع ليصبح منتزه الألعاب الأولمبية الشتوية بكين، مستضيفا فعاليات مثل القفز التزلجي ومحتضنا المكاتب الأولمبية ومراكز التدريب. وقد أصبح هذا التحول نموذجا للتنمية المستدامة. وقال باخ ذات مرة "عندما يتعلق الأمر بالاستدامة، ما عليك سوى النظر حولك هنا". وسط مشهد دولي متقلب، ازداد توق العالم للتضامن. إن الوحدة والتعاون ومستقبلا مشتركا ليست فقط طموح عصرنا، بل هي أيضا المثل الأعلى الأسمى لحركة الأولمبياد.